Université Ibn Tofaïl
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – القنيطرة
Faculté des Sciences Humaines et Sociales – Kenitra
شعبة التاريخ والحضارة

الفصل: الرابع

وحدة: تاريخ الشرق الأقصى

الأستاذ: محمد منقاشي

المحاضرة رقم: 3

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2021-2020
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة تاريخ الشرق الأقصى
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: محمد منقاشي
الفصل الرابع	**المحاضرة رقم: 3**

عندما أقدم زعماء الإصلاح على الأخذ بمبادئ الإصلاح في الحضارة الغربية، لم يجدوا أمامهم كهنة ورجال دين يمكن أن يقفوا في وجوههم ويعترضوا على قراراتهم، بل على العكس من ذلك، وجدوا في ديانة الشنتو عاملا مساعدا على تحقيق دولة مركزية يرأسها إمبراطور يحظى بالتقديس في تلك الديانة.

شكلت علاقة اليابان بالصين علامة فارقة، فالصين حاضرة بثقافتها ومعتقداتها في المجتمع الياباني، وفي مساره التاريخي ابتداءً من الهجرات البشرية في عصور ما قبل التاريخ، والتي شكلت جزءا مهما من تاريخ الأرخبيل.

انفتح اليابانيون طواعية على مقومات الثقافة الصينية (الديانة، الطعام، الفرجة ...) ابتداء من نهاية القرن 6م ، و الذي غير مجرى تاريخ اليابانيين، و وضعهم في فلك الثقافة الصينية. فعن الصين أخذ اليابانيون الديانة البوذية والتعاليم الكونفوشيوسية، ورموز الكتابة، ونظام الإدارة و الحكم، وفنون الشعر، و العمارة، و الرسم، و تخطيط المدن و تعبيد الطرق.

إذا كان إقبال اليابانيين على نتاج الحضارة الصينية كبيرا، فإن تعاملهم مع ذلك الإنتاج الحضاري المادي والرمزي، كان في حدود الاستفادة العملية، وبالقدر الذي يفيد المؤسسة الإمبراطورية التي سعت عبر البعثات الدبلوماسية والطلابية إلى استيراده، كما أن اليابانيين لم يكونوا مجرد مقلدين أو مستهلكين، بل أعادوا إنتاج ما أخذوا و أعطوه صبغة محلية وصيغة متميزة تكاد تتفوق على الأصل.

شكل انفتاح اليابان على الثقافة الصينية في فترة مبكرة، وانفتاحهم على الثقافة الغربية في فترة قريبة (القرن 19م)، تجربتين في تاريخ اليابان، تغير على إثرهما مجرى هذا البلد. في أواخر القرن 6م تطلع أبناء اليابان وبناته إلى الصين، و أخذوا عن معارفها و معتقداتها وفلسفتها، و في النصف الثاني من القرن 19م، تطلع اليابانيون إلى الغرب، و استفادوا من تجاربه وخبراته التقنية و العلمية.

رغم البعد الزمني و تغير الظرف التاريخي، فإن هاتين التجربتين (تجربة الصين والتجربة الغربية) تشتركان في عدد من أوجه الشبه، ففي كلتا الحالتين كانت اليابان متخلفة وضعيفة على مستوى القوة العسكرية، و فيهما معا تعلمت اليابان من الغير أو الآخر.

اتسم وضع اليابان بالضعف والتخلف، والوقوع تحت التهديد، في حين اتسم الغير (الصين و أوروبا) بالقوة والتقدم، و النزوع نحو الهيمنة، غير أن اليابان في وضعها هذا، وقبل أن تقع تحت نفوذ الصين، أو نفوذ الاستعمار الغربي مباشرة، اندفعت و برغبة منها إلى التعلم من الغير، و فتح أبوابها أمام ثقافته. إن هذا الفعل الإرادي أو التصرف الطوعي حاضر في التجربتين معا، ويستحق أن نقف عنده.

إن أهم ما يمكن أن نستخلصه من هذا الاندفاع الياباني نحو الأخذ بالثقافة الصينية هو عدم شعور اليابانيين بالاستعلاء تجاه مكونات ثقافة الغير، التي يكونون في حاجة إليها، و هو أمر يختلف عن ما ساد عند الصينيين والعرب المسلمين في القرن 19م، حيث كان هؤلاء يرون في أنفسهم أصحاب حضارات عريقة، و ينظرون نظرة استعلاء إلى ثقافة الغرب التي اعتبروها غزوا ثقافيا، في حين كان اليابانيون في القرن 16م و في القرن 19م يسعون إلى التعلم من الآخر دون حرج و لا مركب نقص أو عقدة، و ما يزال هذا السلوك قائما حتى اليوم، سواء في علاقة الأفراد اليابانيين في ما بينهم، أو في علاقاتهم مع الآخر.

يجدر التوقف عند القرن 16م الذي كان يعتبر نقطة تحول في أوروبا حين بدأت رياح التغيير تهب على مؤسساتها الدينية (الكنيسة)، وأصبحت تخطو في مشروعها النهضوي، وتكسر عزلتها بسفن تجوب بحار العالم بحثا عن مصادر التجارة، وقد كان نصيب اليابان من ذلك تجارا و مبشرين Missionnaires غير مؤهلين لنقل الصورة الحقيقية المشرقة لما كانت تعيشه أوروبا. وهكذا اختُزِلت معرفة اليابانيين بالآخر (الأوروبي) في السلاح الناري، الذي عزز وساهم في نشر العنف، و كذا إذكاء الحرب الأهلية، و في العقيدة الكاثوليكية التي لا تخلو من التعصب، ولم تكن منفصلة عن التوسع الاستعماري الذي طال مناطق عدة في الشرق الأقصى. و مع ذلك كانت حصيلة هذا اللقاء الأوَّلي بين اليابان و أوروبا إيجابية بالنسبة لليابانيين، حيث انكفأوا و انغلقوا على ذواتهم، و حصنوا أنفسهم من المد الاستعماري بسياسة عزلة طوعية، كانت لها آثار كبرى في التطورات الداخلية التي عرفتها اليابان، و التي تفجرت خلال عصر توكوغاوا .